في جب الأسود

برجاء قراءة الأصحاح السادس
بهذا الأصحاح نكون قد أتينا إلى آخر الأصحاحات التاريخية في سفر دانيآل، لنبدأ بعده الرؤى النبوية.

يعتبر هذا الأصحاح السادس من أكثر أصحاحات الكتاب المقدس معرفة لدينا؛ ولا يحتاج إلى أيَّة مقدمات. إنه يسجّل حدثا وقع لـ"دانيآل" بعد أن تقدّم به السن. في الأصحاح الأول كان شابا في الرابعة عشرة من عمره، وفي هذا الأصحاح نستطيع أن نراه في هذه السن المتقدمة كما كان في شبابه، مخلِصا أمينا للرب.

مضت وانتهت إمبراطورية "بابل"، وقُهرت أمام قوة "مادي" و"فارس". صار حلم "نبوخذ نصر" حقيقة واقعة.

تغيَّرت الأسرة الحاكمة، واعتلى "داريوس" العرش، وأصبح الحاكم الأول للإمبراطورية العظيمة الثانية، التي رآها "نبوخذ نصر" في حُلمه. كان داريوس في الثانية والستين من العمر، ولم يطُل بقاؤه في الحكم لفترة طويلة، وجاء بعده "كورش" الفارسي حاكما للبلاد لفترة وجيزة.

مكيدة لإبادة "دانيآل"
يقسم الأصحاح السادس إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول: مكيدة لإبادة "دانيآل" في الأعداد 1-9.
الأعداد الأولى تبيِّن المهام الصعبة التي واجهت "داريوس"، بعد أن اعتلى عرش الإمبراطورية، وأراد أن يُضفي عليها كيانا جديداً. كانت الصعوبات الإدارية أول هذه المهام، وسرعان ما تعامل معها، إذ نراه يُوَلّي

على المملكة مئة وعشرين مَزْرُبانا[1] (والياً) يكونون على المملكة كلها. وعلى هؤلاء ثلاثة وزراء؛ لِتؤَدِّيَ المرازبة (الولاة) إليهم الحساب؛ فلا تُصيب الملك خسارةً (1و2). وكان الوزراء- بالتالي- مسئولين أمام الملك نفسه. بهذه الطريقة احتفظ "داريوس" بسلطانه المطلق، وفي الوقت ذاته لم تكن السلطة الحاكمة بعيدة عن الشعب.

كان "دانيآل" أحد الوزراء الثلاثة، وفاق "دانيآل" على الوزراء والمرازبة، حتى فكَّر الملك في أن يُولِّيَهُ على المملكة كلها (3). كان هناك اتجاه لتغيير توزيع الرتب الحكومية. هذا التعديل يُعطي أحدهم رتبة أعلى، ربما يصل صاحبها إلى أن يكون نائب الملك.

كيف لدانيآل، وهو واحد من المسبيين، أن يصير ذا شأن كهذا في هذا النظام الجديد؟ كيف يمكن لشخص كان له شأنه وسط الأسرة الحاكمة المقهورة، أن يكون في تلك المكانة العالية في حكومة الأسرة الحاكمة التي قهرتها؟

سؤال يبدو لأول وهلة صعبا ومستحيلا، لكن الجواب بسيط. إن الإمبراطورية التي سقطت، مثلها مثل أي إمبراطورية عظيمة أخرى هي أيضا سقطت.

ماذا تتوقع لإمبراطورية فاسدة، طوفان الرفاهية فيها أغرق العمل الجاد؟ انعدمت فيها المباديء، وزاد فيها العهر والضلال؟

---

(1) المَزْزُبان: الفارس الشجاع، المقدَّم على القوم، وهو دون الملك في الرتبة، وهي كلمة معرَّبة، جمعها: (مَرَازبة).

كان مناخ "بابل" الأخلاقي متعفّنا، كل ما يهم العاملين فيها مَلء جيوبهم لرفاهية أنفسهم.

ماذا تقدر أن تصنع جيوش لا يشغل أفكارهم سوى "الثراء السريع"؟! خلعوا ورعهم، كرَّسوا أنفسهم لكسب يُشعرك باشمئزاز لا يُطاق.

إن تغيير رجال الدولة- في حد ذاته- لا يُغيِّر المناخ الأخلاقي. ولم يكن هناك ما يضمن لـ"داريوس" أنَّ المرازبة الذين عيَّنهم، سيختلفون عن سابقيهم في الحكومة البابلية، وربما يكونون أردأ منهم؛ يهتمون بمصالحهم الشخصية أكثر من اهتمامهم بالإمبراطورية؛ لذا كان لزاما عليه ألا يضع في أيديهم سلطة على المال العام؛ فبحث عَمَّن يكون موضع ثقة، أمينا على الخزانة العامة، خِشية أن تنهار إدارته وتتمزق.

لقد تأكد "داريوس" من أنه وَجَد الرجل الذي يحتاجه في شخص "دانيآل". إن روحانية ذلك الرجل، قد ضمنت أنه لا يمكن أن يُرشَى أو يُشترَى(3). يُقال اليوم أن لكل رجل سعرا، لكن "دانيآل" ليس من أولئك. لقد حكم خوف الله قلبه ويُمكن دون شك أن يُعتمد عليه؛ لأنه سيبقَى وفيا للملك. أمانته لم تكن بحاجة للتأكيد. كان لدانيآل امتياز أخلاقي، وروح استقامة بلا شائنة.

أصبح "دانيآل" حائلا مانعا، بين الرؤساء وبين السطو على المال العام. من لهم نشاط في مجال الأعمال business world، يدركون تماما أن العاملين بدقة وأمانة في مباشرة أعمالهم، كثيرا ما يواجهون بطش وقساوة ومطاردة بعض من رجال الأعمال الأقوياء السَّاعين وراء الثراء السريع، الذين جُلّ همهم، أن يحققوا ويدركوا طموحاتهم الشخصية، ولو أدّى ذلك إلى تدمير وإبادة رجال الأعمال الأمناء الأصغر منهم.

بنفس الطريقة فإنّ المئة والعشرين مرزبانا، والوزيرين الآخرين، كانوا يطلبون عِلَّة على "دانيآل"، ليتخلَّصوا منه؛ كي يُفسحوا الطريق للفساد، لكنهم أدركوا أنهم لن يستطيعوا أن يجدوا علة ولا ذنبا؛ مادام مؤديا جيدا لمهامه ومسئولياته. كما أنّ أداءَه في العمل بلا لوم؛ يقدم لكل شعب الرب مثالا يحتذَى به. ولمّا لم تكن أمامهم فرصة للشكوى ضده؛ كان

عليهم أن يدبِّروا مكيدة من نوع مختلف تماما، مكيدة تكون كفيلة بأن تقضي عليه، وتزيحه من الطريق، مرة وإلى الأبد.

لم يكن لديهم شك في إخلاص "دانيآل" للملك "داريوس"، وفي الوقت ذاته، إنهم يعلمون مدى طاعته وإخلاصه لإلهه. فإذا وُضع في موقف يحتم عليه الاختيار بين الملك وإلهه، فأيهما سيختار؟!

إنهم على يقين أن "دانيآل" سيختار إلهه. كفة الله راجحة. بهذا المنطق بدأوا يشحذون طاقاتهم ليوقعوا "دانيآل"؛ فيسقط في مخالفة لأوامر الملك ويُطرد خارجا، ويتم التخلص منه.

إنّ مَنْ يُناضل من أجل الأمانة والعدل، فهو حتما يقف في طريق كل خائن سالب حقوق الغير؛ فتُحيطه كراهية الأشرار من كل جانب. حينئذ لا يقف الشر مكتوف اليدين، بل يحاول جاهداً أن يجعل هذا التقي الطاهر اليدين، في وضع يحتّم عليه أن يختار: إمّا أن يكون مُخلِصا لإلهه؛ فيفقد أسمى المراكز جاها وكل شيء مادي، أو أن يحافظ على كل شيء مادّي ويفقد شهادته المميَّزة.

استخدم الكائدون أدوات الشر، من تملُّق وأكاذيب، وهي نفسها التي استخدمها الشيطان في جنة عدن، ومازال يستخدمها اليوم. لقد أخبر الشيطان حواء، أنها بعصيان الله والأكل من الثمرة المحرَّمة، ستكون هي وآدم مثل الله، عارفين الخير والشر، مؤكدا لها بأنها لن تموت.
تملق! أكاذيب! خطة ثبت نجاحها دائماً.

إنّ المقترحات التي اقترحها المرازبة والوزيران على الملك، كانت دون شك مُشبعة لغروره، فهو الممثل الوحيد على الأرض لأي آلهة، وكل من يطلب طلبة، حتى ثلاثين يوما، من إله أو إنسان إلا منه، يُطرَح في جب الأسود (7).

لم يمنع أي دِين ولم يحرِّم، والصلوات التي ترفع إلى الآلهة المختلفة يمكن أن تستمر كما سبق، إلا أن كل تلك الصلوات والطلبات، يجب أن تقدم عن طريق "داريوس".

لقد جعل "داريوس" نفسه موضع عبادة، وأنكر على أي إنسان حرية تقديم الصلوات والتعبد، لأي إله كان، إلا لذاته.

لاشك أن المرازبة والوزيرين، قد قدَّموا لـ"داريوس" العديد من الأسباب القويَّة لتنفيذ هذا القرار. أقنعوه بأن هذا سيكون عاملا على وحدة الإمبراطورية الجديدة. سيُعطِي احتراما وإجلالا للنظام الملكي الجديد، وقد كانت هذه مبررات كافية لإقناع ملك مغرور بإصدار هذا المرسوم الملكي.

لو كان ذلك الملك حكيما لاشتمَّ فوراً رائحة الوشاية، لكن التملّق له تأثيره العجيب، فهو يزيد من كبرياء الإنسان ويعميه عن الحقيقة. فانخدع "داريوس" بكلامهم المَلِق.

كان "داريوس" يسمع موظفيه، يقترحون عليه أن يكون كالله. لم يكن ذلك الاقتراح سِوَى خطوة لتأليه الملوك، الأمر الذي تفشَّى في العديد من الإمبراطوريات القديمة. لقد جعله التملُّق يغفل تفاصيل في غاية الأهمية، فلا عجب أنّ الأسفار المقدسة، وبالتحديد "سفر الأمثال"، يتكلم بصراحة ضد اللسان المتملّق "يا ابني إن تملَّقَكَ الخطاةُ فلا ترضَ" (امثال1: 10).

ما هي التفاصيل الهامة التي أغفلها الملك؟

كان على الملك أن يدرك أن الكلمات التي في عدد 7 كذب واضح؛ فلقد كان الادعاء أن جميع وزراء المملكة قد تشاوروا أن يضعوا أمراً ملكيا. لو كان الأمر كذلك، لماذا لم

يكن "دانيآل"، أعظم وزرائه، حاضرا عند وضع ذلك الاقتراح؟! لو كان كل كبار الموظفين قد وافقوا على تلك المقترحات، فلماذا لم يقدِّمها رئيسهم؟ إن مثل تلك الأفكار كان يجب أن تمرَّ في ذهن "داريوس"، لكنه فيما يبدو لم يفعل؛ فاعتمد المرسوم دون مشاورة وزيره الأول.

وفقا لشريعة "مادي وفارس"، أصبح قانونا نهائيا، لا يغيّره الملك، وإن عدَّل فيه، تسبَّب في إشعال ثورة هائلة في الإمبراطورية. لم يكن "داريوس" مُهيَّئًا لمثل تلك الطواريء، خاصة وأنه في بداية حُكمه.

لقد رأينا من قبل كيف أن أمْر "نبوخذ نصر"، بالسجود لتمثال الذهب كان سبباً في أذى البقيَّة التقيَّة فقط، والآن نحن أمام موقف مماثل. إنّ إمبراطورية "مادي وفارس" لا يزعجها هذا المرسوم الملكي، ولا تتأثر به، فشعبها بطبيعتهم وثنيون، يعبدون آلهة متعددة. لكن الأمر يختلف بالنسبة لـ"دانيآل"؛ فشريعة الله تمنعه من أن ينحني لإنسان، أو يعترف بوسيط بينه وبين الله، سوى الله نفسه. لم يكن أمامه طريق يُرضي فيه الرب، وفي نفس الوقت يطيع أمر الملك. لقد كانت الورطة شديدة، فإن سجد "دانيآل" لـ"يهوه" وصلَّى، فحتما سيتعرض للعقاب، وإن لم يستمر في عبادة إلهه سوف يفقد روحانيته بالتأكيد؛ وبالتالي سيفقد نزاهته.

كان عليه أن يختار، إمّا أن يكون تقيًّا فيُقتل، أو أن يكون عابدا للوثن ويحيا!!

أيًّا كان الاختيار، فقد بدا كما لو كان الأشرار هم المنتصرون، فبعد قليل إما سينتهي "دانيآل" إلى الأبد، أو يبقى "دانيآل" الذي ضحَّى بمبادئه وتخلَّى عن صفاته السابقة. يبدو أن المتآمرين لن يخسروا.

دانيآل في جب الأسود
الجزء الثاني من أصحاحنا في الأعداد 10-17 سنسميه: "دانيآل في جب الأسود".

إذ علم "دانيآل" بتوقيع المرسوم الذي لن يُنسخ، لم يُبدِ أية علامة خوف أو اضطراب، كما يفعل معظمنا. فلو صدر اليوم مثل هذا الأمر؛ ترى الكثيرين وقد امتلأت قلوبهم، بأسوأ أنواع الانفعالات. يسرعون لزيارة بعضهم البعض أو يحاولون جاهدين أن يصلوا إلى أقرب مطار، أملاً في الهجرة.
لكن ماذا فعل "دانيآل"؟!

لقد تابع السير في طريقه المعتادة في تقوى، وواصل حياته بصورة طبيعية، "كما كان يفعل من قبل" (10). لم يهتز.. لم يتحرك.. لم يتغير.

حتماً تغيَّرت الظروف، لكنها لم تُغيِّر رجل الله. لقد اعتاد أن يُصلِّي إلى الله ثلاث مرات يوميا. لقد فعل ذلك ونوافذه مفتوحة تجاه "أورشليم". لقد بقِيَ في السبي وقتا طويلا، لكنه لم ينس المدينة التي سُبيَ منها، ولم ينس وعد الله أنه سيُرجع "إسرائيل"، ويبني "أورشليم" ثانية.

كيف أمكن لـ"دانيآل" أن يصلّي علانية؟!
ألم يعلّمنا ربنا أن نذهب إلى مخادعنا، ونغلق الباب، ونصلّي في الخفاء لأبينا السماوي؟ (متى6: 6).

يجب أن نتذكر أن "دانيآل"، كان موظفا حكوميا مُهمًّا في إمبراطورية شرقية، فالخدم يجوبون بيته، ومن غير المحتمل أنه كان يتمتع بخصوصية بصورة كبيرة؛ فلم يكن ممكنا أن يجعل عبادته وتكريسه للرب في الخفاء. والآن فإن الجواسيس منتشرون حوله، يرصدون حركاته؛ بقصد اكتشاف استمرار علاقته بإلهه، في فترة الأمر الملكي؛ ليشكوه إلى الملك.

إن عبادته للرب لم تكن تفاخرا، لكنها لم تكن سرًّا. إن مواصلة صلاته كعادته يعني أنها لا يمكن أن تصبح سرًّا. ثلاث مرات في اليوم، يركع رجل الله ويسجد على وجهه أمام الله، كما كان يفعل دائما. إن التهديد بالموت، لا يعني أنه يجب أن يكُفَّ عن عمل شيء صحيح، فلا يزال الصحيح صحيحاً. ربما تتغير الظروف، لكن ثوابت الله لا تتغيَّر. وكما أكدنا من قبل، فإن واجبنا في الحياة، هو أن نعمل الحق حتى وإن سقطت السماوات، ولا نَكُف عن عمل الصحيح. فلا يزال الصحيح صحيحا، والتبعات مسئولية الله.

لكن، كيف يمكن لرجل تقدَّم في السن، أن يبقى ثابتا هكذا؟! ويُظهر تلك الشجاعة، وهذا الإيمان؟

إنّ تلك الصفات لا تأتي بين ليلة وضُحاها في حياة الإنسان، لكنها تكوَّنت لدى "دانيآل" لأنه عوَّد نفسه طيلة حياته على أن يقول: (لا) للشر؛ فأمكنه أن يعمل ذلك أيضا في الأوقات الصعبة.

إن كنّا نريد تفسيرا للعدد العاشر من الأصحاح السادس، فعلينا أن نقرأ أولا العدد الثامن من الأصحاح الأول.

في العدد الثامن نجد صبيًّا في الرابعة عشرة من العمر، قد "جعل في قلبه ألا يتنجس..". ففي شبابه رفض "دانيآل" أن يفعل شرا صغيرا نسبيًّا. ومهما كانت الشرور التي قابلها في سنوات عمره التالية، كان ردُّه عليها ثابتا: "لا"
لقد بَنَى "دانيآل" قاعدة راسخة، وحفر بحروف بارزة كلمة (لا)، لكل ما هو خطأ.
إننا في كل مرة نقول (لا) للخطية؛ تصبح لدينا قدرة أكبر على أن نردِّدها في كل مرة تالية.

حذار أن نستسلم؛ فتضعف مقاومتنا للشر!!

ألا تتفقون معي في أنّ جُبَّ الأسود الحقيقي بالنسبة لـ"دانيآل" كان غرفة نومه. لقد عرف أنه إن لم ينفِّذ أمر الملك؛ فإنّ الحيوانات المفترسة سوف تبطش به وتمزِّقه، فيفقد حياته؛ لكنه بذلك لن يفقد شهادته للرب.

وكما لاحظنا من قبل، فإنَّ الشرير يُفضِّل أن يحافظ على حياته، ويفقد شهادته. لا يوجد مجال للشك في أنَّ "دانيآل" كلما جثا على ركبتيه للصلاة، تعرَّض لإغراء شيطاني. يمكننا أن نتخيَّل ما كان يجول بخاطره:
"لماذا لا تأخذ الأمور ببساطة؟!"
"انظر لوضعك الذي أنت فيه الآن والامتيازات التي تتمتع بها."
"انظر إلى السلطة التي ستستمر في ممارستها إن أطعت أمر الملك."
"أمِّنْ مستقبلك، بألا تصلِّي للرب طوال الثلاثين يوما الآتية."
"لماذا تُضحِّي بكل مستقبلك مدى الحياة، من أجل التمتع بهذه الفترة القصيرة من الصلاة؟"
"صَلِّ في قلبك فقط إن أردت. لماذا تُصلِّي بالطريقة التي تعوَّدت عليها؛ التي قد تكون سببا في أن تُكشَف، فتفقد حياتك؟ هل هو موضوع مبدأ؟ هل يستحق الأمر ذلك حقا؟"
"إذهبْ بعيداً عن عيون الجواسيس، وصلِّ ما شئت."
"لماذا تترك فرصة، ليشاهدك الناس وأنت تصلِّي؟!"
"ابتعد عن الخطر، وبعد ثلاثين يوما، افعل ما بدا لك."

لابد أن مثل هذه الأفكار، قد غَزَت عقل "دانيآل"، في الصباح وفي وسط النهار وفي المساء. لابد أن جال في ذهنه، ألفَ سبب معقول، يؤدي إلى إقناعه بتَرْك ما كان يريد أن يعمله. من يدري مدى الإرهاق، الذي كان يعانيه "دانيآل" من جرَّاء هذه الإغراءات اليومية المتكررة؟

هناك العديد من أقوياء الإيمان، يصمدون ثابتين أمام الإغراءات القوية المفاجئة، لكن ربما تضعف مقاومتهم. وهذا أسلوب من أساليب عمل الشيطان ليرهق "قديسي العلي" (دانيآل7: 25).

إن الشيطان على علم بأن قطرات الماء المتتالية المنتظمة تذيب الصخر؛ لذا فكثير من إغراءاته ليست عنيفة، وفي الوقت ذاته خبيثة ورقيقة. إنه يكرِّر نفس الاقتراحات الشريرة مرارًا وتكرارًا، إلى أن تترك تأثيرها في الذهن. إنه يزرع في الإنسان أفكاره، مؤكدا أنَّ خطية معينة لا تضر، ويحاول جاهدا أن يثبت أنها نافعة مفيدة، فهو قادر على أن يظهر في شبه ملاك نور. المؤمن الأمين لا تنهار مقاومته أمام تلك الحِيَلْ، ويبقى ثابتا في شهادته.

لقد فشل الأسلوب الشيطاني مع "دانيآل"، وكان "دانيآل" معَرَّضاً كل يوم لضغوط تجربة حقيقية، كانت هي جب الأسود. لكنه صمد وقال (لا) للشر، وجثا على ركبتيه وصلّى شاكرا إلهه، كما كان يفعل دائما من قبل (10).

رأى الجواسيس في "دانيآل" إيمانا راسخا لا يهتز. "دانيآل" هو هو لا يتبدَّل ولا يتغيَّر.

ألا تتفق معي أن رفضه للخوف من هذا التهديد، وعدم استسلامه لأفكار الشيطان الهادمة؛ كان معجزة أكبر من معجزة نجاته من أفواه الأسود؟

عندما ظهر أنّ "دانيآل" غير مكترث بأمر الملك، بدأ المتآمرون في تنفيذ خطَّتهم (12). أسرعوا إلى القصر الملكي، وبدأوا يُعِيدون أمام الملك، بنود المرسوم الملكي الذي وقَّعه. وبدهاء وخبث لم يشيروا أدنى إشارة، ضد نزاهة "دانيآل". لم ينطقوا حرفا مَعيبًا عن أمانته، أو إهمالا في أداء مسئولياته، المكلَّف بها، في منصبه الرفيع، بل ابتدأوا يُذَكِّرون الملك أن "دانيآل" واحد من أهل السبي، ولمَّحوا بأنه – من الناحية السياسية – خائن وغير أمين.
هذا هو أسلوب الأشرار في التحيُّز والظلم.

لقد سبق "دانيآل" وبيَّن لـ "نبوخذ نصر"، أنَّ المملكة التي تأتي من بعده ستكون أدنى من مملكته (2: 39). والأحداث التالية تُعلن مدى صدق تلك النبوءة.

بمقارنة "داريوس" بـ"نبوخذ نصر"، نجد أن "نبوخذ نصر" كان ملكا بما تعنيه هذه الكلمة من معانٍ، بينما نجد "داريوس" ملكا أحمقا، وقع في شراك قوانينه الشخصية، ومؤامرات حاشيته الدنيئة. لقد وقَّع بقلمه على أمور لم يدركها جيداً، والآن يندم على ذلك، لكنه لا يستطيع أن يعمل شيئا.

نَدِم "داريوس"، لكن لزاما عليه أن يُوقِعَ العقاب، لكل من يخالف مرسومه الذي وقَّعه بخاتمه؛ فصار كشريعة "مادي وفارس"، لا يمكن أن يُنقَض.

وملأت كلمات المتآمرين قلب الملك حُزنا، وأراد أن يُنقذ "دانيآل"؛ فهو أكثر رجاله إخلاصا وحكمة. وندم الملك على عدم حِرصه، وقضى طوال اليوم يبحث عن ثغرة ينقذ بها حياة "دانيآل"، لكنه وجد نفسه بلا حيلة، في أيدي مستشاريه الماكرين، الذين يذكّرونه بوقاحة، بأنه أصدر أمرا لا يمكنه التراجع عنه. هذه هي النغمة التي دائما ما يرددها الأشرار؛ فيفوزون بتلك الجولة.

كثيرون كتبوا عن "دانيآل"، ويطلبون منّا أن نتوقف عند تلك النقطة، لكيما نتأمل في "قانون مختلف وحبٍّ مختلف". لقد كان هناك ناموس عادل قد أداننا، لكن الذي وضع ذلك الناموس، اشتاق بقلبه المحب أن ينقذنا. وبحكمته استطاع حل هذه العقدة، فأرسل الرب يسوع المسيح إلى العالم ، حيث وفَّى متطلبات الناموس الإلهي وتحمل عقاب كسر الناموس بالنيابة عنّا، وهكذا حلّ الله تلك المعضلة الصعبة بحياة ابنه وموته وقيامته.

لم يكن هناك حلٌّ لورطة "داريوس"، فهو ملك ضعيف أحمق، أصدر قرارا دون أن يدرك أبعاده، وها هو يتحسَّر على حماقته، فيصرخ بإشفاق وهو يأمر بطرح "دانيآل" في جب الأسود، مظهرا أمله العميق أن يتدخل الله لإنقاذ "دانيآل". إن قلبه يكره القانون الذي أصدره، ومع ذلك كان عليه أن يشهد قمة التهكم، فقد وُضع ختم على مدخل الجب، ليثبت

أن "دانيآل" قد وُضع فيه بناء على أمر الملك، وأن أية محاولة لإخراجه من الجب ستعتبر تحدِّيا وخيانة لكلمة الملك.

دون شك ابتهج المتآمرون، أما الملك فمضى إلى قصره وبات صائما، وطار عنه نومه. لقد كانت كل أفكاره منشغلة بـ"دانيآل" الذي أحبَّه ووثق فيه، وهو الآن في جب الأسود.

كان "دانيآل" في خطر جسدي، لكنه لم يكن في خطر روحي على الإطلاق. واجه الشيطان وجها لوجه، ونجا من أنيابه؛ فليس للشيطان سلطان على "دانيآل". "قاوموا إبليس فيهرب منكم" (يعقوب4: 7). لقد برهن "دانيآل" على حقيقة هذه الكلمات قبل أن تُكتَب. إن نزاهته وروحانيَّته قد بَقِيتا سالمتَيْن دون أي تأثر. إنه نموذج يجب أن نتمثَّل به.

الطريق الوحيد لكي يهرب الشيطان منَّا هو أن نواجهه. ليس هناك طريق آخر لنتجنَّب السقوط في شباكه، فلكي نبقى أحرارا من سلطانه؛ علينا أن نقاومه راسخين في الإيمان (1بطرس5: 8, 9).

إن كلمة (لا) التي قالها "دانيآل"، أجبرت الشيطان أن يتركه ويبتعد عنه. صحيح أنه في جب الأسود، لكنه لم ير الشيطان هناك، بل تمتَّع برفقة أفضل، لم تخطر على قلب بشر.

نجاة "دانيآل" والنتيجة النهائية:

إن بقية الأصحاح بدءًا من عدد 18 تحكي لنا القصة العظيمة، لنجاة "دانيآل" والنتيجة النهائية. فبعد ليلة أُصيب فيها "داريوس" بالأرق والقلق، تتقاذفه عاطفتا الأمل والخوف على مصير "دانيآل"، ما أن لاح الفجر، حتى قصد إلى فم الجب، وكانت هناك فتحة في قمة الجب تمكِّن المشاهدين من رؤية ما يحدث في الجب، فصرخ عبر تلك الفتحة ونادى: يا "دانيآل" عبد الله الحي، هل إلهك الذي تعبده دائما، قَدِرَ على أن ينجيك من الأسود؟!" (20). لم يكن يتوقع أن يسمع إجابة، بل كان يتوقع أن يرى أشلاء خادم الرب، الذي قد

مُزِّق ليلا. وفجأة، عقدت الدهشة لسانه، فقد رنَّ صوت واضح بين جدران الجب، لم يكن يتوقَّع أن يسمعه ثانية قائلا: "يا أيها الملك عش إلى الأبد" (21).

إنه صوت الرجل الذي ظن الجميع أنه مات، يتمنّى للملك، بكل دماثة خلق، أن يحيا.

أشرق شعاع من الفرح على وجه الملك الحزين، حين سمع "دانيآل" يقول: "إلهي قد رأى أني بريء أمامه وأمامك، فأرسل ملاكه وسدَّ أفواه الأسود فلم تضرَّني".

لم تكن لـ"دانيآل" شركة مع الشيطان في الليل، فقد هرب منه. لقد كان في رفقة الرب يسوع المسيح!! ملاك الرب الذي قاد "يعقوب" طوال حياته، الملاك الذي رافق "شدرخ" و"ميشخ" و"عبدنغو" في أتون النار المتَّقد، هو نفسه الملاك الذي بارك "دانيآل" برفقته طوال ساعات الليل. إنه ذلك الذي سيطر بسلطانه على الرياح والأمواج، بعد قرون من عصر "دانيآل"، قد سيطر على الأسود بسلطانه. أوقف خواصهم الغريزية، فلم تمزِّق وتقتل الفريسة التي قُدِّمت إليهم.

لم يستطع "داريوس" أن يصبر، حتى يُنزَع الختم من على باب الجب، الذي تُدخَل منه الأسود؛ فأمر بإنزال الحبال لرفع "دانيآل" من قمة الجب. لقد رفعوه وأخرجوه وتفحَّصوه. لم يروا خدشا، ولم يجدوا جسده مقشعرًا.

مرة أخرى نَجَّى الله خادمه. لم ينج بإخراجه من المشكلة، بل نجا وهو في قلب المشكلة. سبق الله وأنقذ من هُم في أتون النار، وعمل أيضا مع الرسول بولس، إذ يذكر في (2كو11: 23 – 33) قائمة المعاناة التي احتملها، ومع ذلك أعلن بإيمان أن لا شيء يمكن أن يفصله، عن محبة مُخَلِّصِه (رومية8: 35 – 39). وستكون هذه اختباراتنا كذلك. من يريد أن يعيش حياة مسيحية تقيَّة، سوف يتعرَّض حتما للاضطهاد (2تيمو3: 12). إن الله لا يُنجِّي من المصاعب والآلام المرعبة، لكنه يُنجِّي في المصاعب، حتى في الاستشهاد.

ليست هناك أية تجارب قاسية سوف نجتازها بدون المسيح، وليست هناك معاناة أو آلام – ولا استشهاد – إلا وسنقوم بعدها أحياء.

ليس عند الأشرار مثل تلك التعزيات، يحصِّنون بها قلوبهم، وهذا ما يؤكده العدد 24. إنه كلام مروِّع. إنّ المتآمرين يُقذَف بهم إلى الهلاك، وحسب الطقوس الفارسية، تُلقَى كذلك زوجاتهم وأولادهم. ياله من مشهد رهيب!

إنّ الكتاب المقدس لم يذكر أن هذا الأمر كان بأمر من الله، بل كان أمراً من مَلك غير مُجدَّد، ولم توصه كلمة الله بذلك، لكنها تُسجِّل الحقيقة. وبمجرد أن طُرِحَ المتآمرون وزوجاتهم التعيسات وأطفالهم في الجب، بطشت بهم الأسود ومزَّقتهم، وسحقت عظامهم سحقا.

لابد أنّ ذلك المشهد المُرعب يؤلمنا، كما أنه يؤكد لنا مدى الإعجاز في نجاة "دانيآل" من نفس الحفرة. إنّ الله هو الذي نجّاه. ذلك ما أدركه "داريوس"، واعترف به، كما يتضح من أمره الملكي الذي يُختم به الأصحاح، إذ أصدر مرسوما، أرسله إلى جميع الشعوب التابعة لمملكته، يعترف فيه بأن الله هو أعظم الآلهة، لكن مثله مثل "نبوخذ نصر" – بعد واقعة أتون النار – لم يعترف بأنه هو الإله الوحيد.

إن العمى الروحي شيء مرعب، فقد يحدث أنّ شخصا يرى أن الله عظيم، وأنّ سلطانه أبدي، وملكوته لا يزول، وقد يصل إلى حد أن يخاف ويرتعد أمام الإله، الذي قد عرف أنه حيّ، ويعترف فعلا أن ذلك الإله يعمل مشيئته في السماء وكذلك على الأرض، لكنه مع ذلك يفشل في إدراك أنّ الله هو الإله الوحيد. وقد يعيش ذلك الشخص دون أن يكون له ولاء شخصي لذلك الإله. إن ذلك هو ما قد حدث مع "داريوس".

وأخيرا عَبَر "داريوس" من مسرح التاريخ، وحلَّ محلَّه "كورش" الفارسي (28). إنّ الملوك يجيئون ويذهبون، وكذلك الإمبراطوريات، وتبقى البقيَّة التقيَّة. ذلك هو الدرس الأساسي لذلك الأصحاح الذي يجب أن يظل مُشدِّدا ومشجِّعا لنا.

لكن، ماذا إن فقد الملح ملوحته؟

إنّ تلك البقيَّة القليلة، تواجهها كل يوم خيارات: إمّا أن تُرضي ربَّها، وإما أن تُرضي آخرين. لقد عَلِمَتْ أنه بإرضاء الآخرين فقط؛ يمكن لها أن تبقى، ولكنها ستفقد شهادتها. إن الذين يهتمون بإرضاء الآخرين سيعيشون أطول قليلا دون شك، أما البقيَّة التقيَّة فقد تنتهي، لكن شهادتها تستمر. لذا يجب على البقيَّة التقيَّة أن لا تهتم ببقاء الجسد في العالم، بل بنقائها الروحي.

إنّ الاهتمام بالنقاء الروحي – أي الرفض الثابت لفعل الشر – يجعل جب الأسود حقيقة مؤكدة، لأولئك المُخلِصين الحقيقيين للرب، وهؤلاء متأكدون من شركتهم هناك مع المسيح؛ الذي يضمن بسلطانه النجاة المادية، لأولئك الذين وجودهم لازم لاستمرار الشهادة. حتى في حالة الاستشهاد، فكلُّ المخلَّصين متأكدون أنهم سوف يخرجون من تجاربهم أحياء.

سيأتي اليوم الذي يدخل فيه الأشرار الجب، ولن يكون جب حقد المتآمرين، لكن جُبّ عقاب الله العادل. سيذهبون وحدهم. لن يروا شيئا من حضور الله ولا إنقاذه لهم. عقابهم سيكون عقابا إلى الأبد وإلى الأبد وإلى الأبد.

ياله من فرق بين المؤمن وغير المؤمن!! إنّ غير المؤمن يُفضِّل أن يقاسي ألم العذاب في جهنم للأبد، عن أن يحتمل الاضطهاد من أجل المسيح وإنجيله الآن في هذه الحياة. وعلى النقيض، فإن المؤمن يعتبر الشركة مع الله هي أسمى وأثمن شيء في العالم. إنه يُفَضِّلُها عن الحياة نفسها، مردِّدا قول الرسول بولس: "فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو8: 18).